مختبر الأبحاث حول الموارد، الحركية والجاذبية
Laboratoire des Études sur les Ressources, Mobilité et Attractivité - LERMA

MARRAKECH
جامعة القاضي عياض
كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش
Faculté des Lettres et Sciences Humaines - Marrakech

التاريخ والديناميات الاجتماعية

متنوعات مهداة إلى الأستاذ حسن حافظي علوي

تنسيق :
محمد رابطة الدين ومحمد الأكلع

الجزء الأول

2024

التاريخ والديناميات الاجتماعية
متنوعات مهداة إلى الأستاذ حسن حافظي علوي
تنسيق :
محمد رابطة الدين ومحمد الأكلع
الجزء الأول
2024

مختبر الأبحاث حول الموارد، الحركية والجاذبية
Laboratoire des Études sur les Ressources, Mobilité et Attractivité - LERMA

MARRAKECH
كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش
Faculté des Lettres et Sciences Humaines - Marrakech

Histoire et dynamiques sociales

Mélanges en l'honneur du professeur Hassan HAFIDI ALAOUI

Coordination :
Mohamed RABITATEDDINE et Mohamed ELAKLAA

Tome 1

2024

مختبر الأبحاث حول الموارد، الحركية والجاذبية
Laboratoire des Etudes sur les Ressources,
Mobilité et Attractivité - **LERMA**

MARRAKECH
جامعة القاضي عياض
UNIVERSITÉ CADI AYYAD
كلية الآداب والعلوم الإنسانية مراكش
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵜ ⵏ ⵜⵓⵔⵣⵉ ⴷ ⵜⵙⴰⵡⴰⵍⵉⵏ ⵜⵉⵏⵙⵓⵖⵉⵏ - ⵎⵕⵕⴰⴽⵛ
Faculté des Lettres et Sciences Humaines - Marrakech

التاريخ والديناميات الاجتماعية

متنوعات مهداة إلى الأستاذ حسن حافظي علوي

تنسيق :
محمد رابطة الدين ومحمد الأكلع

الجزء الأول

2024

محفوظة جميع الحقوق
©Copyright

الـتـاريـخ والـديناميات الاجتماعيـة

متنوعـات مهداة إلى الأستاذ حسن حافظي علـوي

تنسيـــــــــق :محمد رابطة الدين ومحمد الأكلع

مـنـشـــــورات : مختبر الأبحاث حول الموارد، الحركية والجاذبية (LERMA)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة القاضي عياض، مراكش.

الإيداع القانوني : 2024MO0741

ردمـــــــــــك : 978-9920-8894-0-7

الطبـعـة الأولى : 2024

الطباعة والإخراج الفني : دار أبي رقراق للطباعة والنشر، الرباط

دار أبي رقراق للطباعة والنشر
10 شارع العلويين رقم *3*، حسان – الرباط
الهاتف : *83 75 20 37 05* - الفاكس : *89 75 20 37 05*
E-mail : editionsbouregreg2015@gmail.com

ولـد حـسـن حـافـظي علـوي بزاوية أوفوس بإقليم الرشيدية في 24 رجب 1381 هـ/01 يناير 1962م، وتابع دراسته الثانوية بثانوية غريس بگلميمة، ثم التحق بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بفاس حيث ناقش دبلوم الدراسات العليا سنة 1989. وفي سنة 2005 حصل على دكتوراه الدولة من جامعة محمد الخامس بالرباط. وتتمحور أبحاثه حول التاريخ الاقتصادي والاجتماعي بالعالم الإسلامي في « العصر الوسيط »، وتاريخ الأفكار والتقنيات وتاريخ المؤسسات السياسية والاجتماعية.

الفهـــــرس

كلمة السيد عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية 9

كلمة السيد رئيس مختبر الأبحاث حول الموارد، الحركية والجاذبية (LERMA)..... 11

تقديم عام..... 13
محمد رابطة الدين ومحمد الأكلع

التعريف بالأستاذ حسن حافظي علوي: مسار باحث حصيف..... 23
البيضاوية بلكامل

الفاعل المسؤول: قراءة في بعض أعمال مجموعة البحث في تاريخ المجال والإنسان بتانسيفت..... 33
محمد الأكلع

المحور الأول: إسهام الأستاذ حسن حافظي علوي في الدراسات الصحراوية

المقاربة المصدرية عند الأستاذ حسن حافظي علوي تجليات الامتداد ومسارات الإمداد... 51
محمد البركة

إعمال التعريفات لتجلية الفروق بين الصحراء والواحات: إسهام في دراسة حيوية المجال المعاشي بالمغرب الوسيط 83
سعيد بنحمادة

فقه البادية والتاريخ في مؤلفات الأستاذ حسن حافظي علوي..... 121
أحمد الصديقي

المحور الثاني: التاريخ والرواية

ما بين الرواية التاريخية والتاريخ من اتصال وانفصال 133
حسن أوريد

المحور الثالث: مصادر جديدة

نصوص تاريخية يمنية عن سلاطين الدولة العلوية مقتبسة من كتاب درر نحور الحور العين بسيرة المنصور علي وأعلام دولته الميامين للطف الله جحاف الصنعاني (ت 1243هـ/1827م)..... 141
عبد السلام محمد أحمد الصباري

أنظار في اختصار كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الإدريسي 181
الوافي نوحي

المحور الرابع: المذاهب الإسلامية في فجر الإسلام

العبد والمولى في حركات الشيعة من الظهور إلى حركة المختار (38-67هـ/658-687م..... 195
عبد الحميد الفهري
المخاض المذهبي بالمغرب الإسلامي إبان عصري الولاة المشارقة والإمارات المحلية المستقلة..... 213
عبد الهادي البياض

المحور الخامس : نظرات في التاريخ المرابطي

أثر الحضارة الأندلسية في حضارة الغرب المسيحي زمن المرابطين 269
فائزة البوكيلي
الدولة المرابطية المشروع الوحدوي والسياسة الفكرية: مراجعات نقدية 281
أحمد الخاطب

المحور السادس: التصوف والقيم الإنسانية

التصوّف والمجتمع بإفريقيّة والمغرب بين القرنين السّادس والتّاسع للهجرة/الثّانـي عشر والخامس عشر للميلاد 331
محمد حسن
الصلات الصوفية والعلمية بين الزاويتين العياشية والقشاشية : التصوف الحاتمي والفلسفي وغريب المسائل..... 359
عبـد الله نجـمـي
في تاريخية مفهوم الكرامة..... 411
محمد موهوب

المحور السابع: التاريخ وصناعة الذاكرة

تقديس الشخص في الثقافة التركية: من جينكزخان إلى أردوغان 439
عبد الرحيم بنحادة
الثمثلات الخمسة لشخصية الأمير عبد القادر أو تاريخ جينيالوجيا البطولة والرمز 469
الجيلالي العدناني

أنظار في اختصار كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الإدريسي

الوافي نوحي[*]

مقدمة

استأثر علم الجغرافيا باهتمام المسلمين منذ القرون الهجرية الأولى، وهو اهتمام أملته حاجات متعددة، منها الرغبة في توطيد دعائم الدولة الناشئة، بتسهيل الصلات بين مركز الخلافة وسائر أطرافها من جهة، وبين الدولة وجيرانها من جهة ثانية، ثم التجارة وما كانت تفرضه من معرفة دقيقة بالمسالك والمسافات ونقط الماء وظروف السفر، فضلاً عمّا أملتْه شعيرة الحج كذلك من ضرورة الإحاطة بهذه العناصر وغيرها، بالإضافة الى الدوافع العلمية المتمثلة في الرغبة في توسيع دائرة معارفهم، والتأليف في كل أصناف المعرفة.

وهكذا، وصف الجغرافيون المسلمون طرق المواصلات، من حيث طوبوغرافيتها واتجاهاتها، والمدن الواقعة عليها، والمسافات الفاصلة بين هذه المدن، ومستوى الأمن فيها. وتوسعوا في وصف المدن والحواضر والقرى والبوادي وصفا دقيقا مفصلا، يشمل معلومات عن تاريخها وبنائها وأهم آثارها، وحكامها وسكانها وأديانهم ومذاهبهم وعاداتهم وتقاليدهم، كما وصفوا المظاهر الطبيعية المختلفة من جبال وبحار وبحيرات وأنهار، وذكروا الزراعات والصناعات والمعادن والأحوال الاقتصادية.

في هذا السياق نبغ كثير من العلماء المسلمين، أثْروا المعرفة الجغرافية، وأسهموا في تطورها، وفي طليعتهم الشريف الإدريسي السبتي الذي بصم هذا المجال بتجديده الكبير في علميْ الجغرافيا والكارطوغرافيا. وتروم هذه الورقات الوقوف عند المعالم الرئيسية لحياته وآثاره العلمية، مع تخصيص بعض التفصيل لأحد أهمّ كتبه، الذي حظي بعناية واهتمام كبيرين منذ تصنيفه، ذلك هو نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الذي تمّ تلخيصه ليسهُل تناوله وتتيسر الاستفادة منه.

(*) مركز الدراسات التاريخية والبيئية، المعهد الملكي للثقافة الأمازيغية، الرباط.

• نبـذة عن حيـاة الشريـف الإدريسي

تكتنف حياة الشريف الإدريسي[1] ضبابية كبيرة ويلفها غموض ملحوظ، إذْ لم تُفـرد له كتب التراجـم والطبقات، سواءٌ المغربية منهـا أو المشرقية، ما يليق بمقامه العلمي من اهتمام، جريا على عادتها في اختزال التعريف بالجغرافيين والمؤرخين والفلكيين، عدا ما حلاّه به الصفـدي في معرض ترجمته لملك صقلية رُجار الثاني (Roger II)،[2] وما نقله العماد الأصفهاني من وصف ابن بشرون الصقلي الذي كان معاصراً للإدريسي،[3] إضافة إلى عبارات معدودة أفرده بها ابن أبي أصيبعة.[4]

وقد اختلف الباحثون في سبب هذا الإهمال الذي لحق الإدريسي، فعزى البعض ذلك إلى التحاقه ببلاط ملك صقلية في فترة عصيبة من تاريخ العرب والمسلمين، حيث رحى الحروب الصليبية دائرة بين الإفرنج والمسلمين في مصر والشام والأندلس، بينما يرى آخرون أن اغتراب الإدريسي وكثرة رحلاته، وتجوله في البلاد النائية جعل أخباره تقلّ عند المؤلفين. وتظهر معاناته من الغربة في بعض الأبيات التي وصلتنا من شعره :

ليـت شـعـري أيـــــن قـبري ضـــاع فـــي الـغـربـــة عـمـــري
لـــم أدع للعيـــن مـــا تـشـــ تـــاق فـــي بـــر وبـــحـر
وخـبـــــرت الـنـــــاس والأرض لـــــدى خـــيـــر وشـــــر
لـــم أجـــد جـــــارا ولا دا را كـمـــا فـــي طـــي صـدري
فـــكـأنـــي لـــم أســـــر إلا بـــمـــيـــت أو بـــقـــفـــر

(1) واسمه الكامل: محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس بن يحيى بن علي بن حمود بن ميمون بن أحمد ابن علي بن عبيد الله بن عمر بن إدريس بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. ولأصله هذا لُقب بالشريف، أما لقب الإدريسي فهو نسبة إلى جده الأعلى إدريس الأكبر مؤسس دولة الأدارسة بالمغرب الأقصى. ويلقب كذلك بالحمودي نسبة إلى جده حمود الذي تنسب إليه دولة بني حمود الذين حكموا مالقة والجزيرة الخضراء بالأندلس في وقت من الأوقات. ويعرف أيضا بالقرطبي لأنه درَس بقرطبة، وبالصقلي بسبب إقامته في جزيرة صقلية في بلاط ملكها النورماني رُجار الثاني ردحا من الزمن.

(2) صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج. 1، طبع بعناية سقين **ديدرينغ** وآخرين (فسبادن: دار **فرانز شتايز**، 1962-1974)، 163.

(3) العماد الأصفهاني، **خريدة القصر وجريدة العصر**، ج. 2، تحقيق آذرتاش آذرنوش، تنقيح وزيادة العروسي المطوي وآخرين (تونس: الدار التونسية للنشر، ط. 2، 1986)، 260-262.

(4) أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة، **عيون الأنباء في طبقات الأطباء**، ضبط وتصحيح محمد باسل عيون السود (بيروت: دار الكتب العلمية، ط. 1، 1998)، 460.

هذا في الوقت الذي حظيت فيه كتبه باهتمام كبير، حيث كانت محلّ ثناء وإطراء، بل واقتباسات عديدة، خاصة كتابه نزهة المشتاق الذي استفاد منه كثيرون أمثال ابن خلدون، والعمري، والقلقشندي، وأبي الفدا، وغيرهم.[1]

ولد الإدريسي في مدينة سبتة خلال العصر المرابطي، سنة 493هـ/1100م. واستهوته الرحلة منذ سنّه المبكرة، فكانت أولى رحلاته إلى مصر، وآسيا الصغرى (مدينة أَضَنَة) سنة 510هـ/1116م، وعمره لم يتجاوز السابعة عشرة سنة.[2] كما زار بعض دول المشرق العربي، ولبث هناك لبضع سنين، قبل أن يعود إلى المغرب الأقصى الذي تجول في ربوعه، وجاز إلى الأندلس، فتلقى بقرطبة، التي كانت وقتئذ صرحا علميا ومركزا ثقافيا، جملةً من المعارف والعلوم. ويحتمل أن يكون زار أيضا لشبونة وسواحل فرنسا وإنجلترا الجنوبية حسبما تدل عليه دقة التفاصيل التي يوردها عن هذه المناطق في كتابه نزهة المشتاق، ثم عاد إلى سبتة.

سافر الإدريسي من سبتة إلى صقلية في سنة 533هـ/1139م،[3] على ما يظهر قاصداً ملكها رجار الثاني[4] الذي يبدو أنه دعاه إليه طالبا منه تأليف كتاب في الجغرافيا يعرف منه مملكته «ويعلم حدودها ومسالكها برا وبحرا، وفي أي إقليم هي، وما يخصها من البحار والخلجان الكائنة بها مع معرفة غيرها من البلاد والأقطار في الأقاليم السبعة.»[5]

أما تاريخ وفاة الشريف الإدريسي، فلم يتفق حوله الباحثون، لعدم ورود ذلك في ترجماته المتوفرة، على قلتها، إلا أن جلهم يجعلها في سنة 560هـ/1164-1165م،[6] في حين يرى البعض أنها كانت سنة 569هـ/1174م.[7] أما مكان وفاته، فالراجح أنه صقلية،[8] رغم أن هذا ليس محل إجماع أيضاً.

---

(1) لمزيد من التفصيل حول هذه النقطة، انظر: حسين مؤنس، **تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس** (القاهرة: مكتبة مدبولي، نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ط. 2، 1986)، 168-169.

(2) مؤنس، **تاريخ الجغرافية**، 173.

(3) المرجع نفسه، 176.

(4) حكم بين سنتي 506 و548 549هـ/ 1112 و1154م.

(5) الشريف الإدريسي، **نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، تحقيق مجموعة من الباحثين والمستشرقين، تحت إشراف المعهد الجامعي للدراسات الشرقية بنابولي (*I.U.O.N*) نُشر بين سنتي 1970 1984. وأعادت نشره، بالتصوير عن الطبعة الأولى (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، د.ت.).

(6) انظر مثلا: إغناطيوس كراتشكوفسكي، **تاريخ الأدب الجغرافي العربي**، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط. 2، 1987)، 305؛ مؤنس، تاريخ الجغرافية، 169.

(7) عبد الله كُنون، **النبوغ المغربي في الأدب العربي**، ج 1 (بيروت: دار الكتاب اللبناني، 1961)، 156.

(8) يشير أحمد توفيق المدني إلى أن الإدريسي توفي في صقلية ودفن في بالرمو. انظر كتابه: **المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا** (الجزائر: دار الفرجاني، 1996)، 213.

• آثاره العلمية

أورد جل الذين تحدثوا عن الإدريسي عناوين كثيرة لمؤلفاته، تصل في مجموعها إلى ستة عشر (16) عنوانا، غير أنها لا تعني -في الواقع- سوى أربعة من كتبه، والبقية هي عناوين اصطلاحية للكتب الأربعة، أو لأجزاء منها، أو مختصرات لبعضها.[1]

والكتب الأربعة هي: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق الذي نحن بصدد الحديث عن اختصاره؛ وكتاب روض الأنس ونزهة النفس؛[2] وأنس الـمُهج وروض الفُرج؛[3] والجامع لأشتات النبات.[4]

o نزهة المشتاق في اختراق الآفاق

ألَّف الشريف الإدريسي هذا الكتاب في مدينة بالرمو (Palermo) بطلب من ملك صقلية رجار الثاني، ولذلك يسمى أيضا كتاب رجار، أو الكتاب الرجاري، وقد سماه: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق،[5] وهو في مسالك الأرض وممالكها (جغرافية العالم في القرن السادس للهجرة/ الثاني عشر للميلاد). وانتهى من تأليفه عام 548هـ/1153م، أي أسابيع قليلة قبل وفاة رجار المذكور، وصنع له كرة (وقيل: لوحاً) زِنَتها أربع مائة (400) رطل رومي من الفضة، رسمت عليها خريطة العالم آنئذ.[6] «ولعل الرغبة في أن يرى رجار الكتاب كاملا قبل أن يموت تفسر طابع العجلة التي اتسم بها هذا الكتاب، خاصة في القسم الثاني منه.»[7]

---

(1) لمعرفة تفاصيل إضافية عن مؤلفات الإدريسي، ونشراتها وطبعاتها المختلفة، انظر :
Giovanni Oman, «Notizie bibliographiche sul geographo arabo al idrissi (XII^e),» in : *A.I.U.O.N*, Roma, nuova serie, XI (1961): 25-61.

(2) أورده العماد الأصفهاني في **خريدة القصر**، ج. 2، 260 262. وكان الشاعر والأديب ابن بشرون الصقلي أول من نسب هذا الكتاب للإدريسي، وكان معاصراً له، ووصفه بكونه أكبر من كتاب **نزهة المشتاق**. والكتاب الآن في حكم المفقود.

(3) نشرت عدة قطع من الكتاب منذ اكتشاف نسختيه باستانبول في بداية القرن 20. واشتغلنا بإخراج القطعة الخاصة منه بشمال إفريقيا وبلاد السودان، في إطار أطروحة الدكتوراه في التاريخ. وصدرت ضمن منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، بعنوان: **أُنْسُ المُهَج وروض الفُرَج للشريف الإدريسي** (493 560هـ/1100 1165م): قسم شمال إفريقيا وبلاد السودان، تحقيق وتقديم الوافي النوحي (الرباط: مطابع أبي رقراق للطباعة والنشر، ط.1، 2007).

(4) وعنوانه الكامل: **الجامع لصفات أشتات النبات وضروب أنواع المفردات من الأشجار والثمار والأصول والأزهار وأعضاء الحيوان والمعادن والأطيار**، لكنه يرد في جلّ المصادر مختصراً باسم: **الجامع للأدوية المفردة**، أو **كتاب الأدوية المفردة**، أو **كتاب المفردات**. وقد نشرت نسختا هذا المخطوط، بطريقة الفاكسيميلي، بعنوان: **الجامع لصفات أشتات النبات وضروب أنواع المفردات**، سنة 1995، في جزأين، ضمن منشورات معهد تاريخ العلوم العربية والإسلامية، في إطار جامعة فرانكفورت، ألمانيا الاتحادية، بإشراف فؤاد سزگين.

(5) الإدريسي، **نزهة**، ج. 1، 5.

(6) الصفدي، **الوافي بالوفيات**، ج. 1، 169.

(7) كراتشكوفسكي، **تاريخ الأدب الجغرافي**، 307.

وقد احتل كتاب نزهة المشتاق مكانة متميزة في إطار الأدب الجغرافي العربي، بمعلوماته التفصيلية، وبما ضمّه من خرائط حملت تجديدا في ميدان الكارطوغرافيا الإسلامية، بحيث تمكن الإدريسي من رسم خرائط إقليمية جزئية للعالم المعروف يومئذ، بما فيه قارات إفريقيا وأوروبا وآسيا، بلغت قمة الإبداع في وضع الخرائط في العصور الوسطى،[1] واعتبرت من أرقى ما توصل إليه علم الكارطوغرافيا إلى حدود عصره، وقد استند إلى خطوط الطول والعرض في تعيين المواقع الجغرافية على خرائطه، ونال شهرة عالمية واهتماما بالغا في الشرق والغرب.

o منهج الإدريسي في نزهة المشتاق

جمع الإدريسي في هذا الكتاب بين المنهج الفلكي والمنهج الوصفي، فبدأ بوصف الكرة الأرضية، وقال إنها معلقة في الفضاء كالمح في البيضة، ثم وصف البحار والخلجان، وقسم الأرض إلى سبعة أقاليم، تبعا لتقليد جغرافي قديم،[2] غير أنه أدخل عليه تجديدا بتقسيم كل إقليم إلى عشرة أجزاء رأسية،[3] وصفها على حدة من الغرب إلى الشرق، وألحق بكل جزء خريطة، فكان مجموعها سبعون (70) خريطة، بالإضافة إلى خريطة واحدة عامة؛[4] والإدريسي كان أول من استخدم الألوان في خرائطه، فرَمز إلى البحار والمحيطات باللون الأزرق، وللأنهار باللون الأخضر، وللمرتفعات بالألوان الغامقة تدريجيا.[5]

ولم يقتصر على وصف العالم الإسلامي فقط، بل وصف كذلك أوروبا الغربية (فرنسا وألمانيا وسكوتلندة وأيرلندة وسواحل بحر الشمال)، وفنلندا وبولندا ووسط أوروبا، وجاء وصفه لهذه الأجزاء معبرا عن المقدرة والمهارة التي تتناسب مع الظروف العلمية لذلك العهد،[6] واستطاع بكفاءة نادرة، أن يمثل كل هذه الأصقاع على الخرائط التي وضعها، وهو أول جغرافي ضم جزيرة سيلان، وأراضي التبت إلى خريطته.

---

(1) خصباك شاكر، «الخصائص العلمية للجغرافية العربية الإسلامية القديمة،» ضمن بحوث المؤتمر الجغرافي الإسلامي الأول، ج3، 169.

(2) انظر مقدمة الكتاب، ج.1، 3 14.

(3) كراتشكوفسكي، **تاريخ الأدب الجغرافي**، 312، غير أن الإدريسي لم يقدم تسويغا لهذا التقسيم، وهذا من مؤاخذات البعض عليه.

(4) جمَع خرائط هذه الأجزاء السبعين، المستشرق كونراد ميللر (Konrad Miller)، في كتابه: ***Mappae Arabicae***، واستخرج منها الخريطة المعروفة للإدريسي. ثم نشر الخريطة، المجمع العلمي العراقي ببغداد سنة 1951، بعد تحقيقها وتعريب أسمائها، في طول مترين وعرض متر واحد، وأعادت طبعها مديرية المحافظة العقارية والأشغال الطبوغرافية بالرباط.
Konrad Miller, *Mappae Arabicae, arabische welt und tander karten*, 6 vols, (Stuttgart: Islamic Geography, 1926-1930).

(5) يظهر هذا في الخرائط التي وصلتنا، علما بأنها ليست بخرائط النسخة الأصلية.

(6) كراتشكوفسكي، **تاريخ الأدب الجغرافي**، 312.

وكانت الأجزاء التي حظيت باهتمام الشريف الإدريسي، وفصل القول فيها، تلك المتصلة بإفريقيا الشمالية والأندلس وصقلية ونواحي إيطاليا الأخرى، لأنه عاينها شخصيا، خلافا للأجزاء الأخرى.[1]

وقد نال الكتاب شهرة عالمية تجلت في الاهتمام الكبير الذي حظي به من لدن الدارسين، وذلك منذ سنة 1592م، تاريخ أول نشر له بمطبعة الميديتشي(Press Medicis) بروما،[2] وكان هذا من أوائل الكتب العربية المطبوعة في أوروبا،[3] لكن نشره كان مختصرا معيباً ومخلاً بعنوان: كتاب نزهة المشتاق في ذكر الأمصار والأقطار والبلدان والجزر والمداين والآفاق، ولا يحمل اسم من اختصره، ويعود تأليفه إلى سنة 944هـ/1538م بنابلس بفلسطين، وأصله محفوظ بباريس.[4]

وتوالت نشرات كتاب نزهة المشتاق، وتعددت ترجمات أقسام منه إلى لغات شتى،[5] إلى أن أشرف معهدان إيطاليان عريقان على إخراج طبعة كاملة له، بتحقيق جمهرة من

---

(1) تقديرا لجهود الإدريسي في ميدان الجغرافيا، واعتبارا لإسهامه في تطور هذا العلم، خصص له فضاء كبير في المعرض العلمي للمهرجان الدولي الثالث عشر للجغرافيا، الذي نظم من أكتوبر 2002 إلى يناير 2003 من قبل المكتبة الوطنية بفرنسا تحت شعار: «الجغرافيا العربية للإدريسي» بسانت ديي دي فوسج (شرق فرنسا).

(2) الإدريسي، القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس مقتبس من كتاب **نزهة المشتاق للإدريسي**، تحقيق: إسماعيل العربي (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1983)، 25؛ لطيفة الگندوز، **الطباعة والنشر بالمغرب** (1282 1376هـ/ 1865 1956م) (الرباط: دار أبي رقراق للطباعة والنشر، 2014)، 44.

(3) الإدريسي، **المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق للإدريسي**، تحقيق وترجمة: محمد حاج صادق (بروكسيل : Publisud؛ الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1983)، 48.

(4) كراتشكوفسكي، **تاريخ الأدب الجغرافي**، 310.

(5) من ذلك مثلا ما قام به إسماعيل العربي ومحمد حاج صادق ورينهارت دوزي ودي غويه وهنري بيريس بالنسبة لشمال إفريقيا؛ أو إبراهيم شوكة لبلاد الشام، وميشيل أماري ورفيقه بالنسبة لإيطاليا؛ وتالگرين لبلاد البلطيق، وشارل بيلا لفرنسا، وتادوز ليفيتشكي بالنسبة لبولونيا وما جاورها، وغيرها من الأعمال: الإدريسي، **القارة الإفريقية وجزيرة الأندلس من كتاب نزهة المشتاق للإدريسي**، تحقيق إسماعيل العربي (الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1983)؛ والإدريسي، **المغرب العربي من كتاب نزهة المشتاق للإدريسي**، تحقيق وترجمة إلى الفرنسية محمد حاج صادق (بروكسيل: Publisud؛ الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 1983)؛ و الإدريسي، **وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية من خلال نزهة المشتاق**، نشر هنري بيريس (الجزائر: منشورات معهد الدراسات العليا الإسلامية، 1957)؛ والإدريسي، «سورية ولبنان وفلسطين والأردن من نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الإدريسي،» المجلد 30، تحقيق إبراهيم شوكة (بغداد: مجلة المجمع العلمي العراقي، 1979، 3 37). وانظر أيضا:

Reinhart Dozy, et Michael Jan de *Goeje*, *Description de l'Afrique et de l'Espagne* (Leide : E.J. Brill, 1866) ; Michele Amari, e Schiaparelli, *l'Italia descritta nel »Libro di Re Ruggero,« compilato da Edrisi*, testo arabo pubblicato con versione e note da Amari, e Schiaparelli (Roma: Lincei, 1878-1883) ; Tadeusz Lewicki, *La Pologne et les pays voisins dans le »Livre de Roger« de Al Idrisi, géographe arabe du XIIs* (Warszawa : Krakow, 1945) ; Oiva Johannes Tuulio ; Aarne Michaël Tallgren, »Idrisi, la Finlande et les autres pays baltiques orientaux (géographie, VII[4]), éd. Critique du texte arabe,« in : *Studia Orientalia*, Helsinki, III (1930) : 1-142 ; Charles Pellat, »La France dans la géographie d'Al Idrissi,« in *Studi Magrebini*, Napoli, X (1978) : 33-72.

الباحثين والمستشرقين المهتمين بالجغرافيا العربية، بين سنتي 1970 و1984م.[1] ويعد هذا الكتاب بحق «أثرا وعلَما حقيقيا للجغرافيا،» كما وصفه رينو (Reinaud).[2]

o اختصار نزهة المشتاق

ظهر أول كتاب مختصر لنزهة المشتاق، كما سلف، بروما منذ نهاية القرن 16. وترجم هذا المختصر إلى اللغة الإيطالية عام 1600م من قبل بَلْدي (Bernardino Baldi)؛ كما ترجم إلى اللغة اللاّتينية من طرف العالمِيْن المارونييْن: جبريل الصهيوني (Gabriel Sionite) ويوحنا الحصروني (Joannes Hesronite)، ونشراه بباريس عام 1619م تحت عنوان : جغرافية النوبي (Geografia Nubiensis).[3]

وللنزهة مختصران آخران، أحدهما بعنوان: جنى الأزهار من الروض المعطار، اكتشفه فولرز (Vollers) في القاهرة عام 1893م. والآخر بعنوان: كتاب الجغرافيا الكلية، أي صورة الأرض، عثر عليه گريفيني (Griffini) عند بعض الخواص بتونس في بداية القرن العشرين،[4] وحسب علمنا، فإنه لم ينشر أي منهما إلى الآن، ولا يُعلم مكان حفظهما بالضبط.

وقد وقفنا على مختصر آخر لنزهة المشتاق، لا ندري هل هو ذات المختصَرين السابق ذكرهما، أم أنه مختلف عنهما. انتُسخ هذا المختصر باستانبول سنة 1204هـ/1790م، وأحصينا له ثلاث نسخ توجد كلها بالمغرب، تمكّنا من تحصيلها والمقارنة بينها، وهي:

نسخة محفوظة في قسم الوثائق والمخطوطات بالمكتبة الوطنية للمملكة المغربية بالرباط بعنوان: كتاب في الجغرافية، تحت رقم (2349 ك)، تتألف من 239 صفحة (119 ورقة). أوّلها: «بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما . وبه الإعانة، الحمد لله رب العالمين. أما بعد، إني وقفت على الكتاب المسمى بنزهة

---

(1) والمعهدان المذكوران هما: المعهد الجامعي الشرقي بنابولي (Istituto Universitario Orientale di Napoli) ومعهد الشرق الأدنى والأوسط (Istituto per il Medio ed Esterno Oriente). وأعيد نشر الكتاب، عن الطبعة الإيطالية، في جزأين (1106 صفحة) بمكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة، (د. ت)، غير أن هذا العمل، رغم ما بذل فيه من مجهود في جمع النسخ ومقارنتها، يفتقر إلى التعليقات، والترجيحات عند اختلاف النسخ، فضلا عن حاجته إلى مقدمة عامة.

(2) Joseph-Toussaint Reinaud, *Géographie d'Abulféda, I, Introduction générale à la géographie des orientaux*, (Paris : Impr. Nationale 1848), CXIV.

(3) Giovanni Oman, »Al Idrisi,«, in **Encyclopédie de l'islam**, vol. III,1058-1061 .

وسبب هذه التسمية (جغرافيا النوبي) سوء قراءة المترجميْن لكلمة وردت في النص، عند الحديث عن مجرى النيل في بلاد النوبة، فقال الإدريسي إنه يقطع أرضها (أي أرض النوبة) ولأن الهاء شبه مطموسة، قرءاها (أرضنا) فتوهّما أنه يتحدث عن بلده!

(4) Oman, « Al Idrisi,» 1060.

المشتاق في اختراق الآفاق، وتأملت معانيه ومقاصده، واستحسنت مصادره وموارده، إلا أنه أكثر القول وأعاد، ونقص من ذكر بعض الأقاليم وزاد، على حسب ما أحب وأراد، فأخذت من كلامه ما وافق المراد، وما به الحاجة ماسة إلى معرفة المراسي والبلاد، ومن الله عز وجل أسأل العون لا إله إلا هو، وهو حسبي ونعم الوكيل.»

وفي آخر هذه النسخة: «إن هذا الجزء العاشر من الإقليم السابع كله بحر مظلم لا عمارة فيه البتة، ولا يُعلم ما خلفه. فهذا جميع ما اتصل بنا من أوصاف أقطار الأرض من معمور ومغمورة[كذا]، فتبارك الله ربّ العالمين.»

- ناسخها: محمد العربي بن محمد مصلى الأندلسي الرباطي.

- تاريخ نسخها: يوم الاثنين 18 شعبان 1204هـ [03 مايو 1790م].

- مكان نسخها: «بلد قسطنطينة العظمى، أبقاها الله للإسلام» بتعبير الناسخ.

وألحق الناسخ بقيد الختم العبارة الآتية: «وقد كنت وجدت هذه النسخة ببلد اصلامبول مكتوبة باصطانبه [كذا، ولعلها: استانة] فوجدت فيها بعض الحروف غير منقوطة، فما فهمناه نقطناه، وما لا فلا، والله أعلم.»[1] وعلى هذه النسخة تحبيس.[2]

وقدّرنا أن تكون هذه النسخة أصلَ النسختين الأخريين.

نسخة أخرى لهذا المختصر بخزانة مؤسسة علاّل الفاسي بالرباط، مسجلة تحت رقم: (ع733- جغرافيا)، تقع ضمن مجموع، عدد صفحاتها: 207. تشترك مع سابقتها في البداية، وكذلك في النهاية، مع اختلاف بسيط في كلمتين.[3] وذُيّلت بالعبارة الآتية: «ذكر الناسخ لأصل هذه النسخة [أنه] وجدها ببلاد اصطنبول، مكتوبة باستانبة [لعله يقصد: استانة] فوجد فيها بعض الحروف غير منقوطة، فما فهمه أنقطه، وما لم يفهمه فلا، والله أعلم.»

---

(1) أُلحقت بهذه النسخة، بعد قيد الختم، ثلاثة أبيات من الشعر تنسب للإمام الشافعي ولغيره، استهلت بعبارة: ولله در القائل:

وأنطقَتِ الدراهمُ بعدَ عي *** أُناسا بعدَما كانُوا سكوتاً
فَما عادوا على جارٍ بخير *** وَلا رفعوا لِمَكرُمَةٍ بيوتاً
كذاك المال ينطق كل عي *** ويترك كل ذي حسب صموتاً

(2) ونص التحبيس: «الحمد لله وحده، أشهدت شهيديه زهراء بنت السيد عبد الرفيع بن عمار الأندلسي الرباطي أنها حبست هذا السفر على زاوية مولانا عبد القادر الجيلاني برباط الفتح حبساً مؤبداً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين. عرفت قدره، شهد بذلك عليها، وهي بأتمّه وعرفها، في تاسع عشر من محرم حرام عام اثنين وعشرين ومأتين وألف[29 مارس 1807]». وذُيّل الإشهاد بتوقيع عدلين، أحدهما الطاهر بن المهدي، ولم نتبيّن اسم الآخر.

(3) (من معمورها ومغمورها) بدلًا من (من معمور ومغمورة).

- ناسخ هذه المخطوطة هو أحمد بن محمد بن أحمد الأعمرتي الريفي أصلاً الطنجاوي.

- تاريخ نسخها: 14 جمادى الثانية سنة 1302هـ [31 مارس 1885م].

- مكان نسخها: يبدو من عبارة «وجدها ببلد قسطنطينة العظمى، أبقاها الله للإسلام» المبيّنة في قيد الختم، أن نسْخها كان هناك، وإن كنا لا ندري إن كان هذا الناسخ هو من وجدها بالقسطنطينية ونسخها، أم أنه نقل عبارة الناسخ الأول الذي ذكر أنه نسخها بها.

توجد لهذا المختصر نسخة ثالثة بمكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، تحت رقم: (913.04/ إدر/ م.خ)، تقع في 322 صفحة (161 ورقة)، وهي من المطبوعات السلكية، ويبدو أنها مطبوعة بباريس. تتفق في أولها مع النسختين السابقتين، مع إسقاط عبارة (وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً) في البداية. وكذلك تتفق معهما في نهايتها، إلا أن قيد الختم ساقط منها.[1]

توجد مخطوطة أخرى بمكتبة الزاوية الحمزية، بقرية سيدي حمزة بإقليم الراشيدية، يعتقد أنها لمختصر نزهة المشتاق، وهي ضمن مجموع، في مجلد بخط أندلسي رقمه (185)، عدد أوراقه 96. لم نطلع عليها، لكن العلاّمة المرحوم سيدي محمد المنوني وصفها بقوله: «الموجود قطعة مهمة منها مبتورة الطرفين وخالية من الخرائط، وهي تبتدئ من حديث جزائر الهند أوائل الجزء الثاني من معمور الأرض، وتنتهي عند الحديث عن صحراء بلاد السوس أثناء الجزء السابع.»[2]

ووصف ذات المخطوطة مُعدّ فهرس مخطوطات خزانة الزاوية الحمزية بقوله: «قطعة مهمة، مبتورة الطرفين وخالية من الخرائط، قديمة الخط، بمقدمتها أوراق ستة في الجغرافية أيضاً لعلها ليست من الأصل، جاء فيها: «قال مؤلف هذه الجغرافية: أما بعد، حمداً لله والصلاة والسلام على مولانا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإني نسخت هذه الجغرافية من نسخة نسخت من جغرافية أمير المؤمنين عبد الله المأمون بن هارون الرشيد رحمهم الله.»[3] وزاد المفهرس معلقا: «والنسخة لعلها من كتب عبد الرحمن بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن أبي بكر، كما هو منبه عليه في أول صفحة من الكتاب.»[4]

---

(1) فآخر عبارة فيها «فتبارك الله ربّ العالمين.» وتتفق ونسخة المكتبة الوطنية في جملة: (من معمور ومغمورة).

(2) المنوني، محمد: «مكتبة الزاوية الحمزية، صفحة من تاريخها،» مجلة تطوان، ع 8 (1963): 148؛ وأعيد نشر المقال ضمن كتابه: **المصادر العربية لتاريخ المغرب**، بعنوان: «تقديم فهرسة مكتبة الزاوية الحمزية: صفحة من تاريخها،» ج. 3 (الرباط: منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط، ط. 1، 2002)، 153-231. وحديثه عن هذه النسخة مذكور في الصفحة رقم: 203.

(3) حميد لحمر، **الفهرس الوصفي لمخطوطات خزانة الزاوية الحمزية العياشية بإقليم الرشيدية**، ج. 4 (الرباط: مطبعة الأمنية، منشورات وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، 1430هـ/ 2009م)، 1085.

(4) المرجع بفسه، ج. 4، 1085.

أول هذه النسخة: «أنواعاً فيها من الملاهي مثل النوامير والكياتر والعيدان... بأنواع مختلفة من الطرب، فلا يقدر أحد ممن يسمع ذلك أن يبرح من حول هذه الجزيرة لشدة الفرح والطرب، وكذلك يسمع فيها صوت عظيم كصوت الرعد.» وآخرها: «فصل: ولما ذكرنا جميع معمور الأرض وبحارها وجميع أجزائها وجبالها وأنهارها، وما يحتوي عليه جميع أصقاعها من مسالكها ومدائنها ومياه كل صقع، ورسمنا ذلك في الجغرافية في موضعه وكل نهر في موضعه وكل بحر على حده كما بلغ إلينا من كتاب.»[1]

د- ملاحظات حول مخطوطات مختصَر نزهة المشتاق ومنهجية اختصاره

أوقفتنا المقارنة بين هذه النسخ على مجموعة من الملاحظات نجملها في الآتي:

- تشترك النسخ الثلاث لهذا المختصَر في خلوّها من الخرائط.

- سقط من النسخ الثلاث: الجزء الثاني من الإقليم الثاني، والجزء الرابع من الإقليم الثالث ونبّه الناسخ إلى ذلك بعبارة: «لم يذكر الرابع، بين نهاية الجزء الثالث وبداية الخامس.» وسقط منها كذلك نحو النصف الأخير من الجزء السابع، وبداية الجزء الثامن من الإقليم الثالث (نحو عشرة أسطر منه)، وفي محل هذا السقط الأخير بياض.

- نسخة الزاوية الحمزية مبتورة الطرفين وخالية أيضا من الخرائط، كما ورد في وصف العلامة المنوني المشار إليه سابقا.

- تنفرد نسخة المكتبة الوطنية للمملكة المغربية بأن عليها تعليقات وتصويبات قارئين اثنين، أحدهما هو مالك النسخة، الشيخ عبد الحي الكتاني، وخطه معروف. والثاني مجهول، وقد كتب عدة تعليقات على الهامش بخط مغاير لخط النسخة.

- تخللت هذه النسخة إلحاقات كتبت في الهامش لتلحق بالمتن.

أما فيما يتعلق بمنهجية اختصار كتاب نزهة المشتاق، فقد لاحظنا أن مختصِره لم يسلك طريقة موحدة في عمله، وإن التزم، على العموم، بالاستغناء عن التفاصيل والجزئيات الواردة في ثنايا الكتاب. إلا أنه يعمد في بعض الأحيان إلى التصرف في المادة الأصلية بشكل كبير، يظهر هذا فيما يتصل بالأجزاء المتعلقة بالهند والصين مثلا، التي أسقط كثيرا من تفاصيلها... في حين اختصر بشكل أقل الأجزاء المتصلة ببلاد الحجاز، الذي أبقى فيها على الكثير من الأخبار التي تجاوز عن مثيلها في الأجزاء والأقاليم الأخرى. وسلك نفس المنحى، وإن بشكل أقل، في الأجزاء المتعلقة ببلاد المغرب.

(1) المرجع نفسه، ج. 4، 1085.

ومن الملاحظات المتعلقة بهذا المختصَر أيضا ما ورد بنهايته، من أن ناسخه وجد بأصله بعض الحروف غير منقوطة، وقد أنقط ما فهمه منها فقط، ويفهم من العبارة أن المُختصِر مشرقي. وهذه عادة النساخ المشارقة الذين لا يهتدون إلى القراءة السليمة لكثير من الأعلام الجغرافية المغربية، والأمازيغية منها على وجه الخصوص، فيتركونها عارية من النَّقْط.

أما هوية المختصِر، فلا يسعفنا المتن في التحقق منها، إلا أنه يُرجَّح أن يكون من أهل بلاد المغرب. وأما تكوينه، فيغلب على الظن أنه أديب له حظ من المعرفة الجغرافية. يؤيد هذا طريقة اختصاره وحسن تصرفه في لغة المتن وتأليفه بين فقراته. هذا بالرغم من أنه لم يضفْ للمتن الأصلي أي شيء.

خاتمة

بعد هذه الجولة العجلى في متن مختصَر كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق للشريف الإدريسي، تبيّن لنا أن فن اختصار الكتب لم يقتصر على المصنفات الأدبية والشرعية، كما هو شائع في الحضارة الإسلامية، بل شمل كذلك كتب الجغرافية وباقي الفنون. والواقع أننا نجهل الأسباب التي حدت بالمختصِر إلى اختصار الأصل المطول من كتاب نزهة المشتاق، وإن كان قد عزا ذلك في المقدمة التي وضعها لمختصره إلى طول هذا الأصل، وقد يكون لذلك علاقة بعملية التدريس والرغبة في إعداد كتاب تعليمي في الجغرافية لإفادة الطلاب أو تقريب المعرفة الجغرافية من المهتمين. ومهما يكن من أمر في هذا الموضوع، فإن اختصار هذا الكتاب ينهض دليلا على الأهمية التي كان يكتسيها أصله المطول، غير أن فائدة هذا المختصر تظل محدودة في ظل توفر الأصل وتداوله، هذا بالإضافة إلى أن النسخ المتوفرة منه انتسخت كلها من أصل واحد، مما يقلل من قيمتها العلمية.